دكتور محمد حسن شرشر
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر

من
وجوه إعجاز القرآن الكريم
والبيان النبوى الشريف

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين .

وبعـــد

فلما كان الناظر فى كتاب الله بإنصاف تتراءى له وجوه كثيرة من الإعجاز ، كما تتراءى للناظر إلى قطعة الماس ألوان عجيبة متعددة .

فقد ذكرت فى هذه الدراسة من وجوه الإعجاز القرآنى : الإخبار عن المغيبات ، والإعجاز التشريعى ، والإعجاز العلمى(١) .

كما ذكرت مقتطفات من البيان النبوى الشريف .

والله أسأل أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم ، وأن يكون لنا ذخراً يوم الدين ؟

المعادى فى ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ

٧ فبراير ١٩٨٦ م

د . محمد حسن شرشر

---

(١) الإعجاز البلاغى سبق الحديث عنه في كتاب « قبس من البيان القرآنى للدكتور محمد حسن شرشر .

إعجاز القرآن

القرآن الكريم : هو ذلك الكتاب الكريم الذى أنزله الله على خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وأشرف خلق الله أجمعين ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم تأييداً لدعوته ، وتصديقا لنبوته ، وإثباتا لرسالته ، وليكون دستوراً عاما يرجع الناس إليه فيما بينهم ، وفيما يهمهم من شئون الدين والدنيا ويهتـــدون به فيما يعود عليهم بالخير والرشاد فى العاجل والآجل .

أو هو :

اللفظ المنزل على محمد ﷺ المنقول إلينا تواتراً المتحدى بأقصر سورة منه .

ومعنى إعجاز القرآن : إثبات القرآن عجز الخلق مجتمعين ومتفرقين عن الإتيان بمثله .

وليس الإثبات المذكور مقصودا لذاته ، بل المقصود هو إظهار أن أن هذا الكتاب حق من عند الله ، وأن الذى جاء به رسول صدق أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين .

وكذلك الشأن فى جميع معجزات الأنبياء ليس المراد منها إعجاز الخلق لذات الإعجاز ولكن للازمه ، وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله تعالى ، فعند ذلك يؤمنون بأنهم رسل الله فيسعدون بإتباعهم فى الدنيا والآخرة .

هذا . وقد روعى فى تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن ، كما روعى فى تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من باب تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه .

وفى تسميته بهذين الإسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى الصدور والسطور جميعاً ، أن تضل إحـــداهما فتذكر إحداهما الأخرى .

فلا ثقة لنـا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه لمنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التى وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بـكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التى بعثها الله فى نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها ، بقى القرآن محفوظا فى حرز حريز ، إنجازاً لوعد الله الذى تـكفل بحفظه حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(١) .

والناظر فى هذا الـكتاب الـكريم بإنصاف ، تتراءى له وجوه كثيرة من الإعجاز كما تتراءى للناظر إلى قطعة الماس ألوان عجيبة متعددة بتعدد ما فيها من زوايا وأضلاع ، ومختلفة بإختلاف ما يـكون عليه الناظر ، وما تـكون عليه قطعة الماس من الأوضاع(٢) .

ومن هذه الوجوه :

الإخبار عن المغيبات « غيب المستقبل »

من وجوه إعجاز القرآن اشتماله على الإخبار بالغيوب الآتية التى لم تـكن حدثت وقت إخباره بها ، ثم حدثت بعد ذلك طبق ما أخبر به ، والقرآن زاخر من ذلك بآيات كثيرة فى سور عديدة .

١ — من ذلك : الإخبار بأن الغلبة ستـكون للروم بعد أن كانت عليهم

---

(١) الحجر ٩

(٢) مناهل العرفان حـ ٢/٣٢٢ ، النبأ العظيم ١٢

فى قوله تعالى : « الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعـــده ولـــكن أكثر الناس لا يعلمون »(١) .

فوقع الأمر كما قال :

فقد كانت دولة الروم المسيحية قد انهزمت أمام دولة الفرس الوثنية سنة ٦١٤ ، فاغتنم المسلمون بذلك وفرح المشركون ، وقالوا للمسلمين فى شماتة العدو : إن الروم يشهدون أنهم أهل كتاب ، وقد غلبهم المجوس ، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذى أنزل عليكم ، ولكننا سنغلبكم كما غلبت فارس الروم ، فنزلت تلك الآيات الكريمة ، يبشر الله فيها المؤمنين بأن هزيمة الروم هذه سيعقبها إنتصار لهم فى بضع سنين ، أى فى مدة تتراوح بين ثلاث سنوات وتسع ، ولم يكن مظنونا فى ذلك الوقت أن الروم تنتصر على الفرس فى مثل هذه المدة الوجيزة ، لما لحقها من هزيمة شنعاء .

ولذلك نرى بعض المشركين يراهن أبا بكر على تحقق هذا الأمر ، ولكن الله أنجز وعده ، وحقق ما وعده ، وكان ذلك عام غزوة بدر سنة ٦٢٢ هـ كما تحقق الوعد الآخر فى قوله : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ففرحوا بنصر الله إياهم على المشركين يوم بدر ، كما فرحوا بنصر الروم على فارس ، وصدق الله وعده فى هذه كما صدقه فى تلك ، ومن أصدق من الله حديثا .

٢ ــ ومن ذلك : قوله تعالى : سيهزم الجمع ويولون الدبر(٢) .

---

(١) الروم ١ — ٦

(٢) القمر ٤٥

فقد أخبر القرآن عن هزيمة المشركين، وفي وقت لا مجال فيه لفكرة الحرب فضلا عن إلتقاء الجمع وإنتصار المسلمين .

والجهاد — كما نعلم — لم يفرض إلا فى السنة الثانية من الهجرة ، إنه إخبار بمغيب لم يكن إلا فى علم الله تعالى .

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمعها جعل يقول : أى جمع هذا ؟ قال عمر رضى الله عنه فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يقولها فعرفت تأويلها .

٣ — ومن ذلك قوله تعالى : « والله يعصمك من الناس »(١) .

فقد أخبر القرآن بأن الله عاصم رسوله ، وحافظه من الناس ، لا يصلون إليه بقتل ولا يتمكنون من إغتيال حياته الشريفة بحال ، وذلك فى قوله عز وجل « والله يعصمك من الناس » .

ولقد تحققت نبوءة القرآن هذه ، ولم يتمكن أحد من أعداء الإسلام أن يقتله عليه الصلاة والسلام ، مع كثرة عددهم ووفرة إستعدادهم ، ومع ومع أنهم كانوا يتربصون به الدوائر ويتحينون الفرص للإيقاع به ، والقضاء عليه ، وعلى دعوته ، وهو أضعف منهم إستعداداً وأقل جنوداً ، فمن الذى يملك هذا الوعد وتنفيذه إلا الله ؟ سبحانه لا يقف شىء فى سبيل تنفيذ مراده « وهو القاهر فوق عباده » .

فهل يمكن بعد هذا أن يكون القرآن الذى احتوى ذلك الضمان من كلام محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى لقد كان يتخذ الحراس قبل نزول هذه الآية ، فلما نزلت إذا ثقته واعتداده بها أعظم من ثقته واعتداده بمن

(١) المائدة ٦٧

كانوا يحرسونه وسرعان ما صرف حراسه وسرحهم عند نزول الآية قائلا : « أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله » كما رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري .

٤ — ومن ذلك : ما أخبر به القرآن الكريم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه - وقد كانوا بالمدينة - سيدخلون مكة محلقين رؤوسهم ومقصرين إذ قال سبحانه « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا »(١)

٥ — ومن ذلك : ما جاء في معرض التحدي بالقرآن من قوله سبحانه : وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »(٢)

وقوله سبحانه : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(٣)

فإن ما نراه في هاتين الآيتين من القطع بانتفاء قدرة المخاطبين، وجميع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، قد تناول أطواء المستقبل، والمستقبل غيب » لا يملكه محمد ولا مخلوق غيره ، ومع ذلك فقد تحققت نبوءة القرآن ولا تزال متحققة ، حيث انقرضت طبقة المخاطبين به دون أن يستطيعوا معارضة أقصر سورة منه ، ومضت بعدهم أجيال وأجيال من عرب وعجم ،

---

(١) الفتح
(٢) البقرة ٢٣ ، ٢٤
(٣) الإسراء ٨٨

وكلهم قد باءوا بالعجز ، ولم يستطيعوا المعارضة إلى اليوم ، مع وجود أعداء للإسلام في هذه العصور المتأخرة أكثر وأحرص على هدم بناء هذا الدين من أولئك الأعداء الأولين .

لاحظ مع هذا مايثيره مثل هذا التحدى الطويل العريض من الحمية الأدبية التى تبعث روح المنافسة على أشدها فى نفوس من يتحداهم .

وإذا فرضنا أن واحدا قد عجز عن هذا ، فمن البعيد أن تعجز عنه جماعة وإذا عجزت جماعة فمن البعيد أن تعجز أمة ، وإذا عجزت أمة فمن البعيد أن يعجز جيل ، وإذا عجز جيل فمن البعيد أن تعجز أجيال . فكيف يصدر مثل هذا التحدى ؟ وهل يمكن أن يفسر هذا التحدى الجرىء الطويل العريض إلا بأنه استمداد من وحى السماء ، واستنادا إلى من يملك السمع والأبصار وحديث عمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه(١)

٦ — هذا ، ومن عجائب « الأخبار عن المغيبات » أن القرآن الكريم عرض لتعيين بعض أحداث جزئية ، تقع فى المستقبل لشخص معين ، ثم حقق الأمر كما أخبر .

هذا هو الوليد بن المغيرة المخزومى يقول الله فيه « سنسمه على الخرطوم »(٢) أى سنجعل له علامة على أنفه يعرف بها وقد كان .

ففى غزوة بدر خطم ذلك الرجل بالسيف ، أى ضرب به أنفه ، وبقى أثر هذه الضربة سمة فيه وعلامة عليه .

---

(١) مناهل العرفان ج ٢/٢٦٨

(٢) القلم ١٦

غيب الماضى

لقد أخبرنا القرآن الكريم بما حدث للأمم السابقة ، وروى لنا قصص الرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام ، وهذه القصص الرائعة التى يفيض بها كتاب رب العالمين لم يكن لعلم محمد عليه الصلاة والسلام بها من سبيل .

١ — من ذلك : ذكر نوح والطوفان ، وإنجائه ومن معه من المؤمنين وإغراق من كذبه من المعاندين .

٢ — وذكر قصة إبراهيم وموسى وعيسى ويوسف وغيرهم من الأنبياء والمرسلين فى آيات متعددة ، وفى سور متفرقة ، وما حصل لكل واحد منهم مفصلا طبق ما فى الكتب المقدسة ، وما جرى لهم مع أقوامهم ، وبيان عاقبة المكذبين ومآل المؤمنين .

ويشير القرآن الكريم إلى أن هذا الإخبار دليل على صدق الرسول ﷺ فى مواضع .

يقول سبحانه بعد قصة نوح عليه السلام : تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين(١) .

وقال سبحانه بعد قصه يوسف عليه السلام : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون »(٢) .

---

(١) هود ٤٩
(٢) يوسف ١٠٢

وقال سبحانه في آخر السورة : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١)

وقال بعد قصة موسى وما وقع له من المناجاة وغيرها : « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا . ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » (٢)

وقال سبحانه : بعد قصة مريم وكفالتها : «ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصون (٣) .

فذكر هذه الأمور المغيبة واضحة مفصلة ، طبق ما في الكتب المنزلة دليل على أن هذا الكتاب المبين من عند الله رب العالمين .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الآتي بهذه الأخبار «أمي» لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يكن له معرفة بهذه الأخبار ، ولم تكن نشأته بين أهل الكتاب حتى يعلم بالتلقين عليهم ، اتضح هذا الوجه ، وظهر أمر الإعجاز فيه ، فيه ولقد نبه القرآن على هذا المعنى فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون(٤) .

---

(١) يوسف ١١١
(٢) القصص ٤٤،٤٥،٤٦
(٣) آل عمران ٤٤
(٤) العنكبوت ٤٨ ، ٤٩

غيب الحاضر

أما عن غيب الحاضر الذى لم يكن للرسول ﷺ علم به فمنه ما أخبر الله تعالى به عن المنافقين فى عصر رسول الله ﷺ ، مما كان قائما بهم ، وخفى أمره عليه صلوات الله وسلامه عليه .

١ — كقوله تعالى : ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيـا ، ويشهد الله على ما قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد (١)

٢ — وكقوله جل شأنه فى المسجد الذى بناه المنافقون : « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين،وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون » (٢) .

وهكذا نجـد القرآن الـكريم اشتمل على أخبار كثيره من الغيوب التى لا علم لمحمد ﷺ بها ، ولا سبيل لمثله أن يعلمها مما يدل دلالة بينة على أن هـذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب ، لا يعقل أن يكون نابعا من نفس محمد عليه الصلاة والسلام ولا غيره من الخلق ، بل هو كلام علام الغيوب الذى يملك زمام العالم « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر »(٣) .

---

(٢) البقرة ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٣) التوبة ١٠٧

(٣) الأنعام ٥٩

ومن الإعجاز في هذا الوجه أنه وقع كما حدث وما تخلف ، وجاء على النحو الذي أخبر به إجمال ما أجمل ، وتفصيل ما فصل ، وأنه إن أخبر عن غيب الماضي صدقه ما شهد به التاريخ ، وإن أخبر عن غيب الحاضر صدقة ما جاءت به الأنباء ، وإن أخبر عن غيب المستقبل صدقه ما تلده الليالي ، وما تجيء به الأيام (١)

الأعجاز التشريعي

من وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك التشريع الإلهي الكامل الذي يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر في القديم والحديث .

فالتشريع الإسلامي ، وضع أحكامه ونظامه أحكم الحاكمين ، رب العالمين الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات أو في الأرض ، والذي لا يصدر عنه إلا ما يحقق مصلحة البشر في كل زمان ومكان .

إنه تشريع شامل لجميع العلاقات بأوسع معانيها ، علاقة الإنسان بالله ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بالمجتمع ، وفوق ذلك كله فهو يحاسب على البواطن كما يحاسب على الظاهر من الأعمال .(٢)

فالقرآن الكريم هو الذي وضح أصول العقائد ، وأحكام العبادات ، وقوانين الفضائل والآداب ، وقواعد التشريع الاقتصادي والسياسي والمدني والاجتماعي وهو الذي نظم حياة الأسرة والمجتمع ، ووضع أعدل المبادىء الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في القرن العشرين كالمساواة والعدالة ، والشورى إلى غير ذلك من أسس الحضارة والتشريع .

(١) مناهل العرفان جـ ٢ / ٢٦٣

(٢) القرآن وإعجازه التشريعي ٣٦

١ — ففى العقائد : دعا القرآن الكريم إلى عقيدة طاهرة سامية ، واضحة جلية ، عمادها الإيمان بالله عز وجل ، والتصديق بجميع أنبيائه ورسله وملائكته والإيمان بجميع الكتب السماوية ، كذلك الإيمان بالبعث والنشور ، والقدر خيره وشره حلوه ومره .

مصداقا لقوله تعالى : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (١)

وقوله سبحانه : ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور (٢) .

وقوله سبحانه : ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم (٣)

وقال سبحانه : إياك نعبد وإياك نستعين (٤)

وقوله سبحانه : لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (٥)

وذعا أهل الكتاب « اليهود والنصارى » إلى كلمة سواء ، لا انحراف فيها ولا التواء .

---

(١) البقرة ٢٨٥
(٢) الحديد ٢٢ ، ٢٣
(٣) التغابن ١١
(٤) الفاتحه (٥)
(٥) البقره ٢٥٩

قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالى إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(١) .

٢ — وفى العبادات : جاء القرآن العظيم بأسس العبادات ودعائمها ، فشرع الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وسائر أعمال البر والطاعة .

وفى هذه العبادات إرشاد الخلق إلى مايزكى النفوس، ويغذى الأرواح ويقوم الإرادة ، ويفيد الفرد والمجموع .

وليست العبادة فى الإسلام قاصرة على هذه الدعائم والأركان ، بل هى تشمل كل عمل خير ، وفعل بر وطاعة ، ولهذا فإن العلماء قرروا أن كل عمل يقصد به الإنسان وجه الله يكون عباده .

قال تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٢)

وإذا أمعنا النظر فى أصول العبادات المفروضة ، نجد أن الإسلام قد وسعها ونوعها ، وجعلها ضروبا متفاوتة ، فنها ماهو « عبادة مالية كالزكاة والصدقات ، ومنها ماهو « عبادة بدنية » كالصلاة والصوم . ومنها مايجمع بين الأمرين « عبادة مالية وبدنيـة » كالحج والجهاد فى سبيل الله وهذا التنويع له مغزاه وحكمته السامية .

وفى مجال « التشريع العام » نجد القرآن الكريم قد وضع قواعد عامة فى التشريع المـدنى ، والجنائى ، والسياسى والاقتصادى ، ووضع أسسا للتعامل الدولى فى حالة السلم والحرب ، على أكمل وجه وأعدل نظام .

---

(١) آل عمران ٦٤
(٢) الزلزلة ٧ ، ٨

٣ — ففى أمر المعاملات حرم القرآن أكل أموال الناس بالباطل .
قال تعالى : يا أيها الذين آمنو لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »(١)

ودعا إلى الإشهاد عند البيع ، وبكتابه الدين «قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل» (٢)

وحرم الربا ، قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (٣)

وقال تعالى : « يمحق الله الربا ويربى الصـــدقات والله لا يحب كل كفار أثيم (٤)

وأمر بإيفاء الكيل والميزان ، قاق تعالى : « فأوفو الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعـد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (٥)

وقال تعالى : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »(٦)

٤ — وفى الأمور الجنائية شرع القرآن الحدود ، وأوجب على الأمة تنفيذها من أجل حماية المجتمع ، وصيانته من الفوضى والاضطراب ، وتأمين الأمة على حياتها ومستقبلها ، وأموالهـا وأعراضها لتعيش الحياة الكريمة السعيدة التى لن تكون إلا عن طريق الأمن والاستقرار ، قال تعالى : ولكم فى القصاص حياة ٧)

---

(١) النساء ٢٩ (٢) البقره ٢٨٢
(٣) البقرة ٢٧٨ — ٢٧٩ (٤) البقره ٢٧٦
(٥) الأعراف ٨٥ (٦) المطففين ١ — ٣ (٧) البقره ١٧٩

وقد نص القرآن الكريم على أمهات الجرائم وأعظمها خطراً على مستقبل الفرد والجماعة ، ووضع لكل منها عقوبات مقدرة ، لا يجوز الزيادة عليها ، أو النقصان منها ، أو التساهل فى تطبيقها ، وترك ما سوى ذلك من الجرائم الأخرى للحاكم المسلم ، ينفذ فيها ما يراه من العقوبة على ضوء السنة النبوية المطهرة ، وبالشكل الذى يحقق روح الإسلام من إرادة الخير للناس ، وتطهير المجتمع من المفاسد والمظالم الاجتماعية .

أما الجرائم الكبيرة التى عين لها القرآن عقوبات رادعة فنها :

جريمة القتل : فالشريعة الإسلامية تعتبر التعدى على النفس من أخطر الجرائم لأن الإسلام أعلى من شأن الإنسان بقوله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم[1] .

وبقدر ما رفع الإسلام من شأن الإنسان فإنه قد اشتد فى العقوبة على من يعتدى على حياة غير بغير حق ، بل إن الإسلام عبر عن قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً ، وأن إحياء النفس بمثابة إحياء الناس جميعا .

قال تعالى : من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا[2] .

وقال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما »[3] .

---

(١) الإسراء ٧٠

(٢) المائدة ٣٢ (٣) النساء ٩٣

وقال تعالى : وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا(١) .

وقال تعالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق »(٢) .

وبهذا الحكم العادل جعل الشرع القصاص علاجا يمنع العدوان ، إذ لم يجعل الإسلام لدم أحد من الناس فضلا عن دم آخر .

ومن عدالة الإسلام فى تشريعه أن جعل عقوبة القاتل أن يقتل لأن ذلك هو الجزاء العادل الذى يستحقه بغير إبطاء ولا هوادة ،وحتى هؤلاء الذين يقتلون أنفسهم انتحاراً لهم عذاب شديد يوم القيامة لأنهم قنطوا من رحمه الله ولا يقنط من رحمة ربه إلا الكافرون .

وقد اعتبر بعض من يضعون القوانين الوضعية أن القتل للقاتل عقوبة فظيعة ، ورأوا أن يرحموه بتخفيف هذه العقوبة بالحبس ، وظنوا أنهم بذلك يصلحون ا تمع .

ولكن ثبت بعد ذلك أنهم أساءوا إليه ، لأن جرائم المجرمين قد ازدادت ، واستفحلت ، فرجعوا عن تشريعهم الواهى ، وعادوا إلى عقوبة القتل ، وهذه شهادة تدل على عدالة الأحكام الإسلامية .

جريمة الزنا : وقف الإسلام من جريمة الزنا موقفاً حاسماً ، وجعلها من أبشع الجرائم ، وأشدها نكراً ، وأكثرها مقتاً عند الله ، وقد عبر القرآن عنها بالفاحشة .

قال تعالى : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا »(٣) .

---

(١) النساء ٩٢ (٢) الأنعام ١٥١
(٣) الإسراء ٣٢

وقال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »(١) .

وقال تعالى : الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين(٢) .

وقد اعتبر الإسلام هذه الجريمة النكراء من الخبائث الكبرى التى يجب أن يتطهر المجتمع الإسلامى منها، ولذلك شرع الدين عقوبة صارمة لها ينزلها ولى الأمر بمن ثبتت عليه ، وجعل عقوبتها حدا من حدود الله التى يجب على الحاكم المسلم أن يقيمها .

ويجب فى تنفيذ هذا العقاب ألا تكون فيه رأفة ، وأن يكون بمرأى ومسمع من الناس لزيادة ألم الجانى بالسخط عليه من جموع المشاهدين لعقوبته .

جريمة السرقة : واجهت الشريعة الإسلامية جريمة السرقة بعقوبة قاسية هى قطع اليد ، لتكفل بذلك استئصال شأفة الجريمة(٣) ، ولتكون بقسوتها رادعة وزاجرة لكل من تسول له نفسه العدوان على مال الغير خفية أو غصباً .

قال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »(٤) .

وتهدف العقوبة إلى قطع اليد لأنها هى الأداة التى استعملها السارق

(١) النور ٢ (٢) النور ٣
(٣) استأصل شأفتها : أى أزالها من أصلها .
(٤) المائدة ٣٨ — نكالا : عقوبة لها .

وساعدته على ارتكاب جريمته ، وذلك لمنع استعمالها مرة أخرى فى السـرقة .

وحكمة التشريع فى قطع اليد ، أن الجرائم الخطيرة لا يفلح فى ردعها إلا عقوبة صارمة ومؤلمة ليس فيها لين ، ليكون الجزاء من نفس العمل ، ولتكون العقوبة ملازمة للجانى وظاهرة للناس ومحذرة لهم .

جريمة قطع الطريق أو الحرابة : اعتبر الاسلام الحرابة من الجرائم الخطيرة ، فالمحاربون هم الذين يجتمعون بقوة وشوكة ويحمى بعضهم بعضاً ، ويقصدون إيذاء الناس فى أرواحهم وأموالهم ، ويخيفونهم ويثيرون الفزع والقلق فى نفوسهم لإخضاعهم لأهوائهم الشريرة .

وقد نص القرآن الكريم على عقوبتها ، قال تعالى : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزى فى الدنيا . ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ..(١) .

وهذه الأحكام التى نص عليها القرآن الكريم تدل دلالة واضحة على أن الشريعة الاسلامية تنظر إلى آثار الجريمة التى فيها اعتداء شنيع على الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال وإزهاق أرواحهم وسلب أموالهم ، وشددت العقوبة بما يناسب ما أحدثته الحرابة من عدوان وترويع للآمنين .

وقد أثبتت الأيام أن المجتمع الاسلامى عندما طبق أحكام الحدود عاش آمناً مطمئناً على أمواله وأعراضه ونظامه .

ومن الناس من يلهجون باستغلاظ عقوبة الحرابة ، وهم فى الواقع

---

(١) المائدة ٣٣

ينظرون إلى العقوبة ، ولا ينظرون إلى الجناية ، ويرحمون الجانى ولا يرحمون المجنى عليه ، والمجنى عليه هنا الجماعة التى تنهب أموالها ، وتسفك دماؤها وأنه كلما عظمت الجريمة ، كان لا بد أن تكون العقوبة قاسية ورادعة .

جريمة القذف : وهى من أشنع الجرائم ، قال تعالى : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم »(١) .

وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون »(٢) .

وقال تعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون »(٣) .

إن الشريعة الاسلامية تحرص على مناسبة العقوبة للجريمة ، وهى لابد أن تتلاقى مع العدالة ، وتحقق الرحمة التى بعث بها النبى ﷺ وإن العقوبة وإن كانت تؤذى الفرد وتؤلمه فهى رحمة للمجتمع ، وأداة تطهير لجوه الواسع من الرذائل ، وتمكين للفضيلة فى أرضـــه ، وبعث الطمأنينة فى حياته العامة .

وكل من يتأمل ما جاءت به الشريعة الاسلامية فى جريمة القذف من جلد ومن حرمان من قبول شهوته . ومن التعزير لغير من بلغوا سن الرشد ، ثم اللعان بين الزوج وزوجته ، كل ذلك يدل أوضح دلالة على إعجاز التشريع الاسلامى الذى يستحيل على البشر أن يأتوا بمثله ، ضمانا لاحقاق الحق ، وإزهاق الباطل(٤) .

---

(١) النور ٢٣ (٢) النور ٤ (٣) النور ١٩
(٤) القرآن وإعجازه التشريعى ٨٨

هذا . ولعل أروع مثل للمقارنة بين «التشريع الإلهى القرآنى» وبين التشريع الوضعى، الذى هو من وضع البشر ، ذلك الأثر العظيم الذى تركه القرآن الكريم فى نفوس العرب بسبب تلك الطريقة الحكيمة التى سلكها فى معالجة المفاسد والأمراض الاجتماعية ، حيث قضى على كل فساد ، واستأصل كل جريمة من نفوسهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فملكوا الدنيا وسادوا العالم(١) .

وإلى جانب ذلك فإننا نجد كتاب رب العالمين يدعو إلى : إصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلى الفضائل وتنفيرهم من الرذائل ، وإلى القصد والاعتدال والوقوف عند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط :

١ — فقد دعا إلى الرحمة والعطف والمشاورة .

قال تعالى : «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر . فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين»(٢) .

وقال تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»(٣) .

٢ — ودعا إلى كظم الغيظ :

قال تعالى : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس(٤) .

٣ — ودعا إلى أداء الأمانات والقضاء العادل :

قال تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم

---

(١) التبيان فى علوم القرآن ١١٩
(٢) آل عمران ١٥٩ (٣) الأعراف ١٩٩
(٤) آل عمران ١٣٤

بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا »(١) .

وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »(٢) .

٤ — ودعانا إلى الأخذ بأسباب العفة والاحتشام :

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحدا فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم(٣) » .

وقال تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها »(٤) .

٥ — ودعانا إلى أدب النفس بمراعاة شعور الغير .

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ،

(١) النساء ٥ٸ (٢) المائدة ٨
(٣) النور ٢٧ ، ٢٨
(٤) النور ٣٠ ، ٣١

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله بان الله تواب رحيم »(١) .

٦ — ودعانا إلى البر بالوالدين :

قال تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا(٢) .

٧ — ودعانا إلى ترك الخيلاء والزهو :

قال تعالى : ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض .ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها »(٣) .

٨ — ودعا إلى رد التحية :

قال تعالى : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردها إن الله كان على كل شيء حسيبا(٤) .

٩ — ودعا إلى مسئولية الإنسان عن حواسه :

قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا »(٥) .

١٠ — ودعا إلى المحافظة على مال اليتيم والوفاء بالعهد .

---

(١) الحجرات ١١ ، ١٢
(٢) الإسراء ٢٣ ، ٢٤
(٣) الإسراء ٣٧ ، ٣٨
(٤) النساء ٨٦
(٥) الإسراء ٣٦

قال تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا »(١) .

١١ — ودعا إلى المحافظه على النسل :

قال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشيه إملاق نحن نرزقهم وإيا كم إن قتلهم كان خطئا كبيرا »(٢) .

١٢ — ودعا إلى الزواج وحث عليه :

قال تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٣) .

وقال تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »(٤) .

١٣ — ودعا إلى المحافظة على الحقوق الزوجية :

وقال تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله »(٥) .

١٤ — كما دعا إلى إصلاح المجتمع بإرشاد الخلق إلى توحيد صفوفهم ومحوا العصبيات والفوارق التى تباعد بينهم ، وذلك بإشعارهم أنهم جنس واحد من نفس واحدة أبوهم آدم وأمهم حواء ، أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح وأنهم متساوون أمام الله ودينه وتشريعه ،

(١) الإسراء ٣٤
(٢) الإسراء ٣١
(٣) الروم ٢١
(٤) النساء ٣
(٥) النساء ٣٤

متكافئون فى الأفضلية وفى الحقوق والواجبات من غير استثناءات ولا امتيازات .

وأن الإخاء بينهم أقوى من إخاء النسب والعصب .

قال تعالى : « إنما المؤمنون إخوه فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (١) .

وقال تعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (٢) .

١٥ — ودعا إلى إصلاح الحكم الدولى عن طريق العدل والوفاء بالعهود ، واجتناب الرذائل من الظلم والغدر ونقض العهود . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (٣) .

قال تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » (٤) .

١٦ — ودعا إلى الإصلاح المالى عن طريق الدعوة إلى الاقتصاد وحماية المال من التلف والضياع ووجوب انفاقه فى وجوه البر وأداء الحقوق الخاصه والعامة والسعى المشروع .

قال تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ، فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلوله إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (٥) .

---

(١) الحجرات ١٠
(٢) المؤمنون ٥٢
(٣) المائدة ١
(٤) الفتح ١٠
(٥) الإسراء ٢٦ — ٢٩

١٧ — ودعا القرآن الكريم إلى الإصلاح الحربي عن طريق تهذيب الحرب، ووضعها على قواعد سليمه لخير الإنسانية في مبدئها وغايتها.

قال تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله، واعلموا أن الله مع المتقين»(١).

وقال تعالى: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون»(٢).

١٨ — كما دعا إلى إيثار السلم:

قال تعالى: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم»(٣).

١٩ — كما دعا إلى الاكتفاء بالجزية عند النصر والظفر فيها.

قال تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون»(٤).

هذا. ومما يرفع من منزلة هذا الوجه من إعجاز القرآن الكريم أن غير المسلمين كانوا ولا يزالون حائرين يبحثون عن النور وينقبون عما يفي بحاجتهم في كثير من نواحي حياتهم، حتى اضطروا تحت ضغط الحاجة بعد طول المطاف وقسوة التجارب، أن يرجعوا إلى هداية القرآن من حيث يشعرون، أولا يشعرون.

---

(١) البقرة ١٩٤ (٢) البقرة ٢١٦
(٣) الأنفال ٦١ (٤) التوبه ٢٩

فقد حرمت أمريكا الخمر اخيرا ولكنها فشلت لأنها لم توفق إلى الطريقة الحكيمة التى اتبعها الإسلام فى تحريم الخمر .

كما أباحت — أيضا — الطلاق بعد أن كان ممنوعا لديها بسبب تعاليم الكنيسة .

ويرفع مصلحو أوربا أصواتهم بضرورة تعدد الزوجات حتى إن بعض نسائهم طالبن بذلك نتيجة لكثرة العوانس من النساء ، بحيث أصبحت المشكله ذات أهمية خطيرة على المجتمع الأوربى .

وأصدرت حكومة «اسبانيا» قرارا بمنع البغاء الرسمى فى بلادها ،ويمنع النساء من البروز على الشواطىء فى ثياب الاستحمام .

ونادى زعيم فرنسا غداة هزيمتها أمام الألمان فى الحرب الأخيره بأن سبب انهيار دولة فرنسا ،وسبب هزيمتها هو انغماسهم فى الشهوات وأسرافهم فى المفاسد والمفاتن .

إنه الفرق الشاسع بين تشريع الرحمن وتشريع الإنسان ولكن أكثر لا يعلمون[1] .

وبعد — فإن هذا الوجه من وجوه الإعجاز — كما رأيت — ظاهر جلى يدركه كل متأمل فى شريعة الإسلام .

فقد جاء القرآن الكريم بهدايات كاملة شاملة واسعة ، تفى بحاجات البشر فى كل زمان ومكان ، قصد منها : اصلاح الأفراد ، وإصلاح المجتمعات وإصلاح العقائد ، وإصلاح لعبادات ، وإصلاح الأخلاق ، وإصلاح الحكم والسياسه ، وإصلاح الشئون المالية ، وإصلاح الشئون الحربية . . .

---

(١) مناهل العرفان ج٢ / ٢٤٩

إلى غير ذلك من سبل الإصلاح والتهذيب التي تكفل سعادة الناس أجمعين .

ويأتى هذا التشريع الحكيم على لسان بنى أمى ، فهو خير دليل على صدق رسالته ، وأن ما جاء به تنزيل من حكيم حميد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وصدق الله العظيم « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »(١) .

ولقد أحسن من قال :

شريعة الله للإنسان تبيان
وكل شىء سوى القرآن خسران(٢)

---

(١) المائدة ٥٠

(٢) من قصيدة للأستاذ الأعظمى

الإعجاز العلمى

القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية ، يخاطب الضمير فيحيى فيه عوامل النمو والارتقاء ، وبواعث الخير والفضيلة .

وإعجازه العلمى ليس فى اشتماله على النظريات العلمية التى تتجدد وتتبدل ، وتكون ثمرة للجهد البشرى فى البحث والنظر ، وإنما فى حثه على التفكير فهو يحث الإنسان على النظر فى الكون وتدبره ، ولا يشل حركة العقل فى تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وليس ثمة كتاب من كتب الأديان السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن الكريم .

فأى مسألة من مسائل العلم ، أو قاعدة من قواعده ، يثبت رسوخها ويتبين يقينها ، تكون محققة لما حث عليه القرآن الكريم من تفكير سليم ، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال ، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها ، ولم يتعارض شىء ثابت منها مع آية من آيات القرآن ، وهذا وحده إعجاز .

والقرآن الكريم يجعل التفكير السديد ، والنظر الصائب فى الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسيله الإيمان بالله .

إنه يحث المسلم على التفكير فى مخلوقات الله فى السماء والأرض « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »(١) .

---

(١) آل عمران ١٩٠ — ١٩١

ويحثه على التفكير فى نفسه ، وفى الأرض التى يعمرها ، وفى الطبيعة التى تحيط به « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »(١) .

« أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت »(٢) .

إنه تكفى النظرة الفاحصه فى صفحات هـــذا الكون ، ليتعرف الإنسان على ربه ، نظرة فى السماء وكواكبها ، ونظرة فى الأرض وعجائبها ، ونظرة فى الليل والنهار ، ونظرة فى الأمطار والأنهار ، ونظرة فى الأشجار والأزهار فى أية صورة من صور الحياة آيات لأولى الأبصار(٣) .

وهكذا ، فإن إعجاز القرآن العلمى ، فى أنه يحث المسلمين على التفكير ويفتح لهم أبواب المعرفة ، ويدعوهم إلى ولوجها ، والتقدم فيها ، وقبول كل جديد راسخ من العلوم .

هذا . وفى القرآن الكريم إشارات علمية سيقت فى سياق الهـــداية الإلهية ، وللعقل البشرى أن يبحث فيها ويتدبر . منها :

١ — وحدة الكون :

إن أظهر النظريات العلمية الحديثة تقول : الأرض كانت جزءا من المجموعة الشمسية ، ثم انفصلت عنها ، ويبرهنون على صحة هذه النظرية بوجود البراكين ، والمواد الملتهبة فى باطن الأرض .

هذه النظرية الحديثة تتفق مع ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله

---

(١) الذاريات : ٢١ (٢) الغاشيه ١٧ — ٢٠

(٣) معجزة القرآن ١٤ ، من مباحث فى علوم القرآن ٢٧٢

جل ثناؤه : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون »[1] .

أما القسم الثانى من الآية «وجعلنا من الماء كل شيء حي» فهو من أبلغ ما جاء فى تقرير حقيقة علمية ، أدرك العلماء سرها ، وهى أن الماء عماد الحياة فى الأرض لكل كائن حى من نبات وإنسان وحيوان ، فلا توجد الحياة فى شيء ما إلا إذا كان فيه نسبة معينة من الماء بحسب أجزاء الجسم

ويحتوى جسم الإنسان على ٧٠٪ تقريبا من وزنه ماء ، لأن له أهمية خاصة فى الجسم كوصل لعنصر الغذاء إلى خلايا الجسم ، وإفراز للمواد الضاره . الخ والماء أساس تكوين الدم والسوائل الأخرى ، ويثبت العلم أن الماء أكثر ضرورة للإنسان من الغذاء ، فبينما الإنسان يمكنه أن يعيش نحو ٦٠ يوما بدون أكل لا يمكنه أن يعيش بدون الماء أكثر من أسبوع ولو فقد الجسم ٢٠٪ من مائه يكون معرضا للموت .

إن الماء — بحق — أصل الحياة ، وسبب الحياة ، وحفاظ الحياة فى كل حى من إنسان وحيوان ونبات .

فما أعجب حكمة القرآن الذى يبين بكلمات قلائل سر الحياة .

وصدق الله العظيم : « والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون »[2] .

---

(١) الأنبياء ٣٠ — الرتق : الضم والالتحام ، والفتق : الفصل بين الشيئين

(٢) النحل ٦٥

٢ — نقص الأكسجين :

منذ اكتشاف الطيران ظهرت للعلماء بادرة طبيعية وهى : « نقص الأكسجين فى طبقات الجو العليا » فكلما حلق الإنسان وارتفع فى أجواء السماء كلما أدركته هذه الظاهرة ، وشعر عند ذلك بضيق الصدر ، وصعوبة التنفس ، حتى ليكاد يشعر بالاختناق .

ومن ثم فإن الطيارين يعطـــون تعليمات للركاب بأن يستعملوا «الأكسجين الصناعى » حين تعلو بهم الطائرة إلى مرتفعات عالية تزيد عن خمسة وثلاثين ألف قدم .

هذه الظاهرة العلمية أشار إليها القرآن الكريم قبل اختراع الطيران ، وقبل أربعة عشر قرنا .

استمع إلى قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء »(١) .

لقد جاء هذا العصر فأظهر معجزة القرآن ، وسجل اتفاقا رائعا للآية القرآنية مع الواقع العلمى ، فكان تأييد الصدق رسالة محمـــد ﷺ فلله ما أروع هذا القرآن وما أسماه .

فهل بعد ذلك برهان على أن هذا القرآن كلام الله الذى يعلم السر وأخفى ، وليتأمل ذوو الألباب فى هذا الإعجاز العلمى الباهر الذى ما عرفه أحد قبل نزول القرآن فسبحان من هذا كلامه .

---

(١) الأنعام ١٢٥

٣ — التلقيح بواسطة الرياح :

أثبت العلم الحديث أن الرياح أثناء هبوبها تحمل فى طياتها حبوب اللقاح التى تأخذها من زهرة لزهرة ، فيكون على أثر ذلك التلقيح بين النباتات ، كما أن الرياح علاوة على ذلك تحدث تلاقحا بين السحب المكهربة بالسلب والإيجاب فينتج عن ذلك البرق والرعد والمطر .

وهذه الناحية العلمية تحدث عنها القرآن الكريم ، وفى قوله جل ثناؤه « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ، وماأنتم له بخازنين »(١) .

لقد بينت الآية إعجازا علميا غاية فى الدقة والإحكام ، مما يدل على صدق النبوة »(٢)

٤ — تقسيم الذرة :

ظل الاعتقاد السائد حتى القرن التاسع عشر ، أن الذرة هى أصغر جزء يمكن أن يوجد فى عنصر من العناصر ، وأنها غير قابلة للتجزئة ، لأنها الجزء الذى لا يتجزأ .

ومنذ عشرات السنين الماضية حول العلماء اهتمامهم إلى مشكلة « الذرة » فأمكنهم تجزئتها وتقسيمها ، وبواسطة هذه التجزئة اخترعوا القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية .

استمع إلى قوله تعالى عند الاخبار عن الذرة « ومايعزب عن ربك من

---

(١) الحجر (٢٢) .
(٢) انظر الاعجاز العلمى ١٣٨

مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر إلا فى كتاب مبين »(١)

فكلمة « أصغر » فى الآية الكريمة تصريح جلى بإمكان تجزئتها

وفى قوله « ولا فى السماء » بيان أن خواص الذرات فى الأرض ، هى نفس خواص الذرات فى الكواكب الأخرى .

فهل درس محمد ﷺ خواص الذرة ، وأمكنه تجزئتها والوقوف على خواصها فى الأرض والسماء .

إن الآية الكريمة لدليل قوى على أن القرآن وحى إلهى(٢)

٥ — دوران الأرض :

يقرر العلم الحديث أن الكرة الأرضية منذ نشأتها تدور حول نفسها باستمرار أمام الشمس مرة فى كل يوم ، وأنها تدور مرة كل سنة حول الشمس شأنها فى ذلك شأن جميع الأجرام السماوية التى تسبح فى أفلاكها بانتظام وعلى ذلك فكل ما على الأرض من جبال وبحار وغلاف جوى كلها تشترك مع الأرض فى دورتها اليومية حول محورها ، ودورتها السنوية حول الشمس فالأرض متحركة حول نفسها وحول الشمس فى وقت واحد ، وليست ثابتة لأنها لو كانت ثابتة لما حدث الليل والنهار ، ولما حدثت الفصول الأربعه . قال تعالى : وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون »(٣)

(١) يونس ٦١ - يعزب : يغيب ويختفى
(٢) التبيان فى علوم القرآن ١٣٣
(٣) النمل ٨٨

٦ — اختلاف بصمات الإنسان :

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين «أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه »(١)

إن البنان طرف الأصبع ، والتسوية إتقان الشيء ، وإحسان صنعه ودقة وضعه .

وهنا نتساءل : لماذا اختار الله تسوية البنان من دون الأعضاء كالعين مثلا أو الأنف أو الأذن ، وهى أهم من البنان ، ذلك لأن أى عضو فى جسم الانسان قد يتشابه ، وليس فيه من تنوع واختلاف الرسومات والتعاريج والخطوط كما فى جلد البنان .

وقد أثبت العلماء أن لكل امرىء رسوما وخطوطاً فى بنانه تختلف عن الآخر ، فلا يشبه بنان بنانا من جميع البشر ، ولذلك كانت بصمة الانسان أقوى برهان على إثبات شخصية المرء وأدل عليه .

وفى قوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » تنبيه لعقولنا ولفت لأنظارنا إلى دقة صنع البنان ، وعجيب رسمه ، وما بجلده من نقوش خاصة به ، وضعها فيه العليم الحكيم لتكون إثباتا لشخصية المرء ، وبرهاناً بما تتركه من رسوماتها على ما جنت يداه ، فسبحان من أقام فى اليد شاهداً على كل ما تأتيه ، وأرغمها على الاعتراف بكل ما تجنيه

إن البصمات أدل على الانسان من وجهه ، وأدل من صورته ، وهى

---

(١) القيامة ٣ ، ٤

من أخص خصائصه، وجلد الأصبع لو احترق، وتكون مكانه جلد جديد، ظهر الجلد الجديد، وبه الأشكال نفسها التى كانت فى جلده القديم

إن هذه الآية الكريمة دليل جديد، وبرهان قاطع على أن القرآن الكريم من عند الله، إذ من المحال أن يعرف الرسول ﷺ الأمى الناشىء فى جبال مكة وصحاريها، أن لكل بنان من البشر رسوما تختلف عن الآخرين.

وكيف يعرف هذا السر والجهر لم يكن موجودا فى ذلك الوقت، فهذه الحقيقة لم يكشف عنها العلماء إلا فى العصر الحديث، وبعد بحث دقيق وجهد طويل، وموازنة أصابع الملايين من الناس وفحصها بالجهر.

وفى القرن الماضى ١٨٨٤ م استعملت انجلترا رسميا طريقة للتعرف على الشخص بواسطة بصمات الأصابع، وأصبحت هذه الطريقة متبعة فى جميع البلاد(١)

٧ — حساسية الجلد :

يقول تعالى : « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما »(٢)

يخبرنا الله سبحانه عن العذاب الأليم الذى سيلقاه الكافرون، ويبين لنا أن النار كلما أكلت جلودهم وهى التى تشعر بالألم لما ينتشر فيها من أعصاب

---

(١) معجزة القرآن ١٨١، التبيان فى علوم القرآن ١٣٦
(٢) النساء ٥٦

يجدد ذلك الجلد الذى نضج كى يستمر الألم ويذوقوا العذاب بلا انقطاع، فلقد كشف علم الطب الحديث عن الاعجاز فى هذه الآية الكريمة بعد نزولها بقرون عديدة ، وهو أن أعصاب الألم تنتشر فى الطبقة الجلدية، وأن الطبقـــة الجلدية حساسة تشعر شعورا مرهفا دقيقا بأية لمسة وأية صدمة أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالاحساس فيها ضعيف

ولذلك فإن الحرق البسيط الذى لايتجاوز الجلد يحدث ألما شديدا بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد بعدما تأكله النار إلى الأنسجة فإنه بالرغم من شدته وخطره لايحدث ألما كثيرا(١)

٨ — تطور الجنين فى الرحم :

يقول الدكتور موريس بوكاى « تطور الجنين فى الرحم كما يصفه القرآن يستجيب تماما لما نعرف اليوم عن بعض مراحل تطور الجنين، ولا يحتوى هذا الوصف على أى مقولة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها

إن توافق المقولات القرآنية مع المعلومات الحديثة يتضح ، ولكن من المهم أيضاً مقابلتها بالمعتقدات العامة فى هذا الموضوع التى كانت سائدة فى عصر تنزيل القرآن حتى ندرك إلى أي حد كان معاصرو هذه الفترة بعيدين عن حيازة معلومات تشبه تلك التى يعرضها القرآن فى هذه المسائل

وليس هناك أدنى شك فى أن هؤلاء المعاصرين ، لم يعرفوا فى هذا العصر تفسير هذا الوحى مثلما ندركه اليوم ، ذلك لأن معطيات المعرفة الحديثة تعيننا على تفسيره .

---

(١) معجزة القرآن ١٨٠

والواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفة واضحة إلى حد ما عن هذه المسائل إلا خلال القرن التاسع عشر . . إن مقولات القرآن عن التناسل البشرى تعبر فى ألفاظ بسيطة عن حقائق أنفقت مئات السنين لمعرفتها[١] . وصدق الله العظيم إذ يقول : « ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً »[٢] .

٩ — الظلمات الثلاث :

قال تعالى : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث »[٣] .

لقد قرر العلم الحديث فى تفسير الظلمات الثلاث أنها المبيض ، وقناة فالوت والرحم لأنها تقع فى مواضع متفرقة .

أما تفسيرها بأنها البطن والرحم والمشيمة فهى تعتبر ظلمة واحدة لأنها فى مكان واحد .

وهكذا نرى القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الحقائق فى وقت لم يكن العلم قد عرفها .

فهل لهؤلاء المكذبين للقرآن ورسالة سيد المرسلين محمد ﷺ أن يراجعوا أنفسهم ويؤمنوا بالله الواحد الأحد ، منزل القرآن معجزة من لدنه ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٢٣٢
(٢) المؤمنون ١٤
(٣) الزمر ٦

١٠ — السمع والأبصار والأفئدة :

قال تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »(١) .

يؤكد العلم بدلائله الكثيرة أن حاسة السمع تسبق حاسة البصر فى أداء وظيفتها ولم يكن أحد يعلم ذلك وقت نزول القرآن، وقد ورد تقديم السمع على البصر فى أكثر من سبعة عشر موضعاً منها قوله تعالى : « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة »(٢) . وقوله تعالى : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٣) .

ويقرر العلم أن حاسة السمع تبدأ مبكرة فى أداء عملها فى الأسابيع القليلة الأولى بعد ولادة الطفل ، أما البصر فيبدأ عمله فى الشهر الثالث ، ولا يتم تركيز الأبصار إلا بعد الشهر السادس .

ودليل ذلك أن أذن الطفل تؤدى وظيفتها عقب ولادته ، لأنه إذا سمع صوتاً شعر به وأحسه فوراً وصدر عنه ما يدل على التأثر به ، أما عين الطفل فإنها لا تؤدى وظيفتها إلا بعد فترة من ولادته ، ودليل ذلك أنك إذا مددت يدك قريباً منها لا ترف ولا تتحرك .

ومن روعة الإعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه يذكر الفؤاد بعد السمع والبصر لمعنى علمى دقيق أيضاً وهو أن اكتساب العلم

---

(١) النحل ٧٨

(٢) الأحقاف ٢٦

(٣) الإسراء ٣٦

يحصل بعد الانتقال من مرحلة الإدراك الحسي بالسمع والبصر إلى مرحلة الإدراك العقلي ، وهذه هي طريقة تعلم المعارف والخبرات ، وكلها تجيء بحسب الترتيب الذي ذكره القرآن وهو الإدراك الحسي أولا ثم الإدراك العقلي ، ودليل ذلك واضح في أن الطفل يولد لا يعلم شيئاً ، ثم تتوالى عليه المدركات الحسية وتتكاثر عن طريق السمع ثم البصر ، فإذا ماصارت مجموعة المدركات الحسية كافية يأتي دور الفؤاد ليعقل ويعي ما أدركه الطفل منها بحواسه .

وهناك حقيقة أخرى في تقديم السمع على البصر ، وهو أن القرآن يذكر السمع مفرداً ، ويذكر الأبصار بصيغة الجمع وفي ذلك سر من أسرار الإعجاز أيضاً لأن استقبال الأذن للمسموع لاخيار للإنسان فيه حيث لا حجاب يحجب وصول الصوت إلى طبلة الأذن ، أما العين فللإنسان الخيار في أن يرى أو لا يرى ولها جفون تساعد على ذلك(١) .

١١ — عدم العلم في أرذل العمر :

قال تعالى : « والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً »(٢) .

من عجائب بلاغة القرآن وأسرار إعجازه ، أنه يأتي بتعبيرات علمية غاية في الدقة ، ولا يعقلها إلا العالمون .

فقد بين لنا الطبيب المختص بالأمراض العقلية الفرق بين « ينسى »

---

(١) الإعجاز العلمي ١٠٩ ، ١٤٧

(٢) النحل ٧٠

وبين « لا يعلم من بعد علم شيئاً » ، وهـــذا سر الإعجاز العلمى فى هذه القضية العلمية .

وذلك إن الشخص إذا نسى شيئاً يمكنه بعد تذكر بعض الظروف أن يستعيد ما نسيه ، أما الذى لا يعلم بعد علم شيئاً فلا يمكن أن يتذكر مهما حاول ذلك ، بل إنه فى هذه الحالة قد ينسى إسمه ، وهذه حالة من عوارض مرض انسداد شرايين صغيرة فى المخ ، وهذا الانسداد يكثر كلما تقدم الإنسان فى السن .

إن الذى يقول هذا الكلام بهذا الأسلوب الدقيق رب العالمين ، إنها كلمات مضيئة يسجد أمام إعجازها علماء الطب وغيرهم من ذوى الألباب[١].

١٢ — تغيير لون الوجه تبعاً للحالة النفسية :

قال تعالى : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم »[٢] .

لقد قررت الأبحاث الطبية أن الوجه مرآة النفس ، وذلك لأن لون الوجه يتوقف على الحالة التى تكون عليها العضلات التى تتحرك داخل الجسم تحت الجلد وتتوقف حركتها على حالة أفكارنا وانفعالاتها ، فالغيظ المكظوم يظهر على الوجه ويظهر محمراً أولا ، وإذا اشتد كظم الغيظ وطال أمد احتقان الوجه يبدو مسوداً وهو ما يشاهد فعلا[٣] .

---

(١) الإعجاز العلمى ١٣١

(٢) النحل ٥٨

(٣) الإعجاز العلمى ١٦٧

١٣ — عسل النحل :

قال تعالى : « ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون »(١) .

تدل الدراسات المستفيضة لمملكة النحل أن إلهام الله لها يجعلها تطير لارتشاف رحيق الأزهار فتبتعد عن خليتها آلاف الأمتار ، ثم ترجع إليها ثانية دون أن تخطئها وتدخل خلية أخرى ، علماً بأن الخلايا في المناحل تكون مرصوصة بعضها إلى جوار بعض ، وذلك لأن الله سبحانه سهل أمامها طرقها وذللها لها بنوع من الإحساس الكهربى المغناطيسى في جسمها وبعد أن يجمع النحل رحيق الأزهار في جوفه يتحول هذا الجوف إلى مصنع يجعل من هذا الرحيق شراباً فيه شفاء للناس ، وتلفظ النحلة عسلها عن طريق فمها .

وفى قوله تعالى : « شراب مختلف ألوانه » إشارة إلى أن لون العسل يختلف بحسب لون الأزهار التى يرتشف النحل رحيقها .

فالعسل الناتج من رحيق أزهار القطن يكون قاتم اللون ، بخلاف عسل أزهار البرسيم فهو فاتح اللون .

ثم إن وصف القرآن لعسل النحل بأن فيه شفاء للناس هو حقيقة علمية أثبتتها التحاليل لهذه المادة ، لأنها تجمع عدة عناصر متنوعة الأهمية في التغذية والعلاج ، فضلا عن أنه الغذاء الوحيد المعقم طبياً ، وأنه قاتل للميكروبات ومبيد للجراثيم بسبب احتوائه على مواد داخلة في تركيبه للقضاء عليها .

---

(١) النحل ٦٩

فهل للإنسان أن يتأمل ذلك ويفكر فى قدرة الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء(١) .

١٤ — اللبن :

قال تعالى : « وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين»(٢) .

إن الآية الكريمة توجه عقولنا إلى الاعتبار بما فى خلقه من إبداع وروعة حيث جعل اللبن يخرج من بين فرث «فضلات الطعام» وبين دم .

وهذا يوضح ما كشف عنه علم وظائف الأعضاء فى الأجسام ، من أن الجهاز الهضمى للحيوان يقوم بهضم الطعام ، وإمتصاص الصالح منه ، وتحويله إلى دم يجرى فى الأوعية الدموية لتغذية الجسم ، ومن هذا الدم ما يصل إلى ضرع الحيوان حيث تبدأ الغدد اللبنية فى هذا الضرع تستخلص من الدم العناصر اللازمة لتكوين اللبن ، وذلك بعد أن تصب عليه عصارات خاصة تحيله إلى لبن له مذاقه ولونه الخاص ، ويخرج هذا اللبن من بين الفرث والدم سائغا لذيذا للشاربين .

فسبحان الله الذى يجعل غذاء الحيوان من حشائش وحبوب تتحول إلى لبن هو خير غذاء للإنسان والحيوان ، لأنه غنى بكل مايحتاج إليه الجسم من عناصر ضرورية لحياته .

فما أعظم هذا الإعجاز فى هذه الآية الكريمة التى تصف للناس سرا يتم

---

(١) أنظر الإعجاز العلمى ١٥٢ ، معجزة القرآن ١٠٩ ، والإعجاز العلمى ١١٢

(٢) النحل ٦٦

فى الظلام من المحال أن تراه عين إنسان ، وتخبر كيف يصنع اللبن فى هذا المعمل اللحمى و كيف يطبخ ناصع البياض نظيفا لذيذا من بين فرث قذر ودم أحمر فسبحان من أخرج هذا اللبن الأبيض من ذلك الدم الأحمر .

يقول الأستاذ موريس بوكاى : «يتفق تعريف القرآن لأصل مكونات لبن الحيوان مع معطيات المعرفة الحديثة إتفاقا تاما .

ولكى نفهم معنى هذه الآية من وجهة النظر العلمية ، فلابد من الاستعانة بمعلومات علم وظائف الأعضاء .

تأتى المواد الأساسية التى تتكفل بتغذية الجسم عامة من تفاعلات كيميائية تحدث فى القناة الهضمية ، وتأتى هذه المواد من عناصر موجودة فى محتوى الأمعاء ، وعندما تصل هذه المواد الموجودة بالأمعاء إلى المرحلة المطلوبة فى التفاعل الكيميائى ، فإنها تمر عبر جدار الأمعاء نحو الدورة العامة .

ثم تخرج من الكبد لتذهب أخيراً إلى الدورة الدموية ، بهذا الشكل يمر كل شيء بالدورة الدموية .

والغدد الثديية هى التى تفرز مكونات اللبن بواسطة الدم الدائر إن كل شيء يحدث هنا ابتداء من مواجهة محتوى الأمعاء مع الدم فى الجدار الأمعائى نفسه .

هذه المعلومة المحددة تعد اليوم من مكتسبات الكيمياء وفسيولوجيا الهضم وكانت غير معروفة فى عصر النبى محمد ﷺ ، إن معرفتها ترجع إلى العصر الحديث .

أما إكتشاف الدورة الدموية فهو من عمل « هارفى » وقد تم هذا

الاكتشاف بعد عشرة قرون تقريباً من نزول القرآن(١) .

١٥ — شجرة الزيتون :

قال تعالى : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين »(٢) .

يقرر العلم أن شجرة الزيتون من الأشجار الخشبية التى تعمر طويلا لمدد تزيد على مئات السنين ، وتثمر ثمارا مستمرة بغير جهد من الإنسان .

كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر ، وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة ، ففيه نسبة كبيرة من البروتين كما يتميز بوجود الأملاح الحديدية والفسفاتية وغيرها من المواد الهامة والأساسية فى غذاء الإنسان .

وعلاوة على ذلك فإن الزيتون يحتوى على فيتامين « ا، ب» ويستخرج من ثماره زيت الزيتون الذى يحتوى على نسبة عالية من الدهون السائلةالتى تفيد الجهاز الهضمى عامة والكبد خاصة .

ويفضل زيت الزيتون كافة أنواع الدهون الأخرى نباتية أوحيوانية لأنه لا يسبب أمراضا للدورة الدمويه أو الشرايين كغيره من الدهون . كما أنه ملطف للجلد إذ يجعله ناعما مرنا .

ولزيت الزيتون استعمالات أخرى كثيرة فى الصناعة ، إذ يحضر منه بعض الصناعات ، ويدخل فى تركيب أفضل أنواع الصابون .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٢٢٢، ومعجزة القرآن ٧٢ ، الإعجاز العلمى ١٥٣

(٢) المؤمنون ٢٠

وخـــير ما نختم الكلام به عن أهمية الزيتون من ناحيته الغذائية والدوائية أن الله سبحانه ، وهو العليم الخبير بما خلق يقسم به فى قوله تعالى :

« والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين »(١) للتنويه بشأن الزيتون وبركته ، وعظيم منفعته(٢) .

١٦ — تحريم الخمر :

قال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »(٣) إن الخمر تفقد المرء صوابه، وحين تأسر الخمر العقل، تنطلق شهواته ونزواته فيختلط الضلال بالرشاد ولا يستطيع المرء أن يميز بين الحلال والحرام ، أو بين الصواب والخطأ ، وقد أثبت العلم الحديث أن فى الخمر أضراراً كثيرة منها :

(ا) غياب المـــرء عن ذكر ربه واقترانه الإثم وارتكابه الذنب والمعصية دون إدراك .

(ب) قرحة المعدة والتهابات الجهاز الهضمى .

(ج) التهاب الأعصاب والضعف الجنسى .

(د) تليف الكبد .

(هـ) الإدمان حيث يصبح الإنسان أسير العادات السيئة مع عـــدم الاستجابة للتخدير العام(٤) .

---

(١) التين — ١ — ٣   (٢) الإعجاز العلمى ١٦٣

(٣) المائدة ٩٠   (٤) الإعجاز الطبى ٧٢

١٧ — تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير :

تدل التحاليل الطبية لجسم الحيوان الميت ، أنه مات نتيجة مرض أصابه ، وهذا المرض يجعل لحمه فاسداً ومضراً بالإنسان إذا أكله ، وقد يكون مرضاً معديا .

ودلت كذلك على أن فى الدم الميكروبات التى تعرض الإنسان للأمراض الفتاكة بحياته كما أظهرت التحاليل أن لحم الخنزير فيه مواد ضاره وديدان إذا دخلت الجسم أضرت بصحته .

لذلك نرى آكليه يشكون من آلام روماتيزمية ، والتهابات المفاصل المختلفة كما أن أليافه الغليظة تسبب عسراً فى الهضم وإرتباكا فى الأمعاء(١) .

١٨ — الجبال أوتاد :

قال تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً »(٢) .

تمكن الإنسان بوسائله العلمية المختلفة أن بعض القشرة الأرضية يرتفع مكونا الجبال ، وبعضها ينخفض ليكون قيعان البحار والمحيطات .

وأثبت أن الجبال على سطح الكرة الأرضية موزعة بدقة وحكمة ، ووجود الجبال بهذا الشكل يساعد على التوازن بين المرتفعات والمنخفضات ، بحيث لا تميد الأرض ولا تضطرب ، فكأن هذه الجبال تعمل عمل الأوتاد التى تحفظ توازن الخيمة وإستقرارها .

---

(١) الإعجاز الطبي ٧١
(٢) النبأ ٦ ، ٧

وهناك حقيقة علمية وصل إليها البحث العلمى فى توزيع الجبال واليابس والماء على سطح الأرض بنسب أحجامها الحالية علاوة على التوازن بحيث لاتميد الأرض ولا تحيد عن موضعها ، وهى أنه لو كانت الأرض بحجمها الحالى مكونه من الماء بنسبة أكبر لبلغ وزنها أقل مما هى عليه الآن ، ولما تمكنت من حفظ نسبة بعدها عن الشمس ، بل لانجذبت إليها واحترقت .

ولو كان أكثرها مكونا من اليابس لزاد وزنها عماهى عليه الآن ولبعدت عن الشمس البعد الذى لا تتحقق معه الحياة لأنها فى هذه الحالة تتجمد من شدة البرودة ، فسبحان الذى خلق كل شيء بمقدار(١) .

١٩ — الشمس لا تدرك القمر :

قال تعالى : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون »(٢) .

يثبت العلم الحديث أنه لا يمكن أن تدرك الشمس القمر ، ولا يمكن أن يتلاقيا لأن كلا منهما يجرى فى مدار مواز للآخر فيستحيل أن يتقابلا لأن الخطين المتوازيين لا يتلاقيان أبداً ، كما يستحيل أن يسبق الليل النهار لأن ذلك يتطلب من الأرض أن تدور عكس إتجاهها الطبيعى الذى هو من الغرب إلى الشرق ، وهو أمر مخالف لناموس الكون(٣) .

---

(١) الإعجاز العلمى ٦٥
(٢) يس ٤٠
(٣) الإعجاز العلمى ٧٨

٢٠ — خلق الإنسان فى أحسن تقديم :

قال تعالى : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم »(١) .

إن تعبير القرآن الكريم بعبارة « فى أحسن تقويم » هو تعبير موجز أشد الإيجاز ، ولكنه ينطوى على معان جمة يعجز الإنسان عن إيفائها حقها من البيان ، لأن الله الذى أتقن كل شيء خلقه قد أودع فى الأجسام البشرية من عجائب الأسرار ما يدل على حكم بالغة .

وأقرب شيء يدل على روعة خلق الإنسان يبدو لأول وهلة فى إعتدال قامته وتناسب أطرافه ، ومرونة حركته ، وإتزانها ، ووضع الرأس فى مكانها المحكم لكى يكون لها السيطرة التامة من مركزها وهو المخ على جميع حركات الجسم وتصرفاته من خلال شبكة الأعصاب المنتشرة فى جميع أجزائه .

ثم إننا لو شرحنا أى جهاز من أجهزة الجسم لبدت لنا عجائب ودقائق لايسع العقل إلا أن يقف أمامها خاضعا خاشعا لجلال الله الحكيم الخبير ، وهذا هو منتهى التقويم الذى يتمثل فيه كل الاعتدال والاستواء(٢) .

وصدق الله العظيم « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »(٣) .

وبعـــد

فإن القرآن الكريم لم ينزل للعرب فقط ، وإنما نزل للناس كافة ، وفيهم من لا يعرفون العربية .

---

(١) التين ٤
(٢) الإعجاز العلمى ١٠٥
(٣) الذاريات ٢١

لقد تبين لهم هـــذا الإعجاز عن طريق المناهج العلمية والتشريعية والإصلاحية التى هى من أسرار إعجاز القرآن ، والتى كلما تجلت علميا زانها الأداء البيانى البليغ والأسلوب الرائع فى مبناه وفى معناه .

إن كل من درس علوم القرآن دراسة صحيحة ، واستطاع أن يزداد علما بما وصل إليه العلماء المتخصصون فى مباحث العلوم الطبيعية من فلك وكيمياء وطب ورياضة وهندسة ، أو تزود بقسط وافر من العلوم الاجتماعية والنفسية والكونية سيجد فى القرآن الكريم ثروة من العلوم والمعارف ، وكنزا من القوانين والنواميس التى أودعها الله فى الكائنات والمخلوقات ، وهى السنن الكونية التى وصفها الله تعالى بقوله : « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا »(١) .

وهذه السنن والقوانين التى أوجدها الله فى ملكوته بحكمته وأجراها بتدبيره ، وقد استطاع الإنسان المفكر أن يهتدى إلى بعض منها بتوفيق من الله ، فظهر له ما فيها من التوافق والتطابق بين ماوصل إليه من معلومات وما فى الكون من حقائق ثابتة .

لقد وصف الله فى القرآن الكريم ما أبدعه من مخلوقاته ، وصف العليم الخبير بأسرارها ومقوماتها بعبارات وإشارات ودلالات كانت وقت نزولها فى عصر النبوة فوق إدراك عقول عامة الناس .

---

(١) فاطر ٤٣



من البيان النبوى الشريف

الأحاديث النبوية

كانت سببا فى وجود كثير من العلوم

فالفقهاء وجدوا فيها ما يعينهم على إستنباط الأحكام ، وعلماء الحديث فسروها ، وأدركوا ما فيها من هـــدى وحكمة ومثل عليا ، ترفع شأن الإنسان وأهل اللغة أخذوا يدرسونها ، ويفيدون من ألفاظها وتراكيبها وأخيلتها وصورها ، وأرباب البلاغة والأدب يترسمون أثرها فيما أحدثت من معنى شريف ، ولفظ جميل .

سأل أبو بـكر الصديق رضى الله عنه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مرة : لقد طفت فى العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى[١] .

وقد وصف الجاحظ كلامه عليه الصلاة والسلام فقال : هو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجل عن الصنعة ونزه عن التـكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد « وما أنا من المتكلفين »[٢] ، فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعيب[٣] واستعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى ، فلم ينطق إلا عن ميراث

---

(١) أدب الحديث النبوى ١٠٤

(٢) ص ٨٦ وتلاوة الآية : قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين .

(٣) التقعيب كالتقعير ، وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه .

حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق[١] .

أما عن نسق البلاغة النبوية ، فيقول الرافعى : إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبى ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية ، رأيته فى الأولى مسدد اللفظ ، محكم الوضع ، جزل التركيب ، متناسب الأجزاء فى تأليف الكلمات ، واضح الصلة بين اللفظ وضريبه ، فى التأليف والنسق ثم لا ترى فيه حرفا مضطربا ، ولا لفظة مستدعاة لمعناها ، أو مستكره عليه ، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى ، وتأتيا لسره فى الاستعمال ورأيته فى الثانية حسن المعرض بين الجمله ، واضح التفصيل ، ظاهر الحدود ، جيد الرصف ، متمكن المعنى .. وهذه حقيقة راهنه دليلها ذلك الكلام بجملته وتفصيله[٢] .

وهذا قبس من البيان النبوى أرجو أن ينفع الله به .

١ — عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الإيمان قوة واحدة تقتظم قلوب المؤمنين ، وتنبت فيها النبات الحسن المتماثل من التواد والتراحم والتعاطف ، فترى عند تجاورها رقعة واحدة لتعانقها وتجانس نتاجها ، والإيمان فى قلوب المؤمنين كالدم المتدفق فى الجسم به حياتها وتماسكها كما بالدم حياة الأعضاء وترابطها ، ومعه وجود الروح وفعلها ، وأظهر المظاهر المرشدة إلى الإيمان بذل المؤمن وده ورحمته

---

(١) البيان والتبيين حـ ٢ — ١٧

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٣١٢

وعطفه للمؤمنين ، تألما بما يؤلمهم ، وتداعيا لما يصيبهم ، فمن فقد هذا التداعى فلم تعطفه العواطف ، ولم تبكه البواكى ، فليتحسس قلبه وليسأل نفسه أين أنا من دلائل هذا الإيمان ؟

يريد عليه السلام أن يقرر حقيقة الإيمان فى قلوب المؤمنين ببيان اللوازم البينة لوجوده ، فضرب لهم فيها مثلا يصورهم — متى كانوا عليها — صورة أعضاء الجسد فى الجسد إذا ألم أحدها لم ينفرد بالألم دون سائرها ، فيسهر الجميع لسهره .

هذه الحال الجسمية والوجدانية من المجرب المألوف مرت بكل إنسان وستمر بكل إنسان ما كانت الإنسانية قائمة ، وهى مقياس دقيق يقيس به النبى عليه السلام حال المؤمنين إذا تم إيمانهم ، ليحملهم على تزكية الأنفس وإرهاف الحس ويقظة الروح لكل من يجمع الإيمان بينهم وليرشدهم إلى أن مجتمعهم بخير وأمتهم بإنتصار ما كانوا لا يتصورون أنفسهم أفراداً فى إنفصال شأن واستقلال حياة ، وإنما يرونها أعضاء جسم ، يصح بصحة الجميع ، ويقوى بقوته ، ويمرض بمرض الواحد ويضعف بضعفه .

أليس تأخر المسلمين وإنحدار نجمهم آية صدق هذا الحديث ؟

أليس علاج قلوبهم وأداة إنتصارهم ، وسبب عزتهم أن يعودوا فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم جسداً واحداً يسهر بسهر الجزء منه .

هذه الظواهر والآثار لحقيقة الإيمان جاءت بصيغة التفاعل التى تدل على المشاركة فى إيجاد الفعل ، فالمضاف إليه وهو ضمير الجمع أفراده متماثلون فى بذل الود والرحمة والعطف .

وإتباع « الجسد » بصيغة « الواحد » تأكيد للوحدة الحاصلة من تماسك الأعضاء ، والتى هى سر السهر والحمى ، اللذين يصيبان الجميع

بإصابة العضو منه ولا شك أن الممثل به كلما زاد تقرراً وتأكداً، زاد الممثل له مثله ، لأنه موضوع له ، ومقيس به للاعتبار والموعظة ، ثم مجانسة جواب الشرط لفعله في المضى ، مع إمكان أن يكون مضارعاً ، أدل على هذه الصفات، لما فيه من إشعار بالمبادرة وإسراع بالنجدة للاقتران الزمنى بين الشكوى والتداعى .

وألطف اللطف فى التعبير ، وأدق الدقة مايحمله لفظ « تداعى » من عجيب المعنى ، فهو يخيل إليك أن أعضاء الجسد قد هبت للنجدة ، يدعو بعضها بعضاً ، ويناديه لإسعاف صاحبها أو مواساته ، ثم يجعل تناديها ليس الصراخ بلا مغيث ، وإنما هو الجواب العلمى المسعف والمساعد، السهر والحمى(١) .

٢ — قال رسول الله ﷺ : الخمر أم الخبائث ، ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً ، فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية » .

عندما أراد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه التحذير من الخمر جعلها أم الخبائث ، تنفيراً منها ، واحتقاراً لشأنها .

يقول الشريف الرضى وسماها عليه الصلاة والسلام « أم الخبائث » على تغليظ النهى عن شربها ، وتعظيم قدر العقاب عليها ، فكأنها جماع الخبائث المردية ، ومعظم الذنوب الموبقة ، كما أن الأم جامعة . لأولادها ، ومتقدمة عليهم بميلادها ، والفائدة فى تقديمها على غيرها من المعاصى ، أن الأغلب فى شربها أن يكون طريقاً إلى ارتكاب الكبائر ، وجر الجرائر(٢) فإن السكران قد يحمله السكر على القذف والافتراء وإراقة الدماء ،

---

(١) الحديث النبوى من الواجهة البلاغية ١٤٤

(٢) جر عليهم جريرة : جنى عليهم جناية .

واستحلال الفروج والأموال ، وغير ذلك من مهالك الذنوب ومعاظم العيوب ، وكل هذا فالسكر من أقوى أسبابه وأقرب أبوابه(١) .

٣ — قال رسول الله ﷺ : العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره،والعقل دليله ، والعمل قيمه واللين أخوه ، والصبر أمير جنوده .

هذه الملكات والصفات والقوى النفسية أمور معنوية ، يريد عليه الصلاة والسلام أن يؤكد وظائفها ، ويقرر مزاياها فى حياة الإنسان ، فيشخصها تشخيصاً يعطيها الحيـــاة والحس والإرادة ، وجميع التشبيهات المتلاحقة المسماة بالمفروق قد ذكرت دون الأداة زيادة فى تأكيد مدلولها، وحملا على تصور الطرفين فى كل منها .

يقول الشريف الرضى : فالمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « العلم خليل المؤمن » أنه يأنس به من الوحشة ، ويسكن إليه فى الوحدة ، كما يأنس الخليل بخليله ، ويسكن الحميم إلى حميمه ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام « والحلم وزيره » أنه يقوى به على الأمور ، ويؤازره على كظم المكروه . والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام « والعقل دليله » أنه بالعقل يهتدى فى ظلم المشكلات وينجو من مضايق الغمرات ، فهو كالدليل يرشد فى المضال، ويجنب عن المزال، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام،والعمل قيمه ، أن العمل يثقف ميله ، ويقوم زلله ، ويسد خلله ، فهو كالقيم الذى يأتى لمصالح مايقوم عليه، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام«واللين أخوه» أن اللين يفيده مؤاخاة الإخوان ومخالصتهم ويحفظ عليه صفاءهم ومودتهم، فجعله عليه الصلاة والسلام أخاه من حيث كان سبباً لاجتلاب الإخوان إليه ، وحفظ المودات عليه والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام « والرفق والده » كالمراد بقوله « واللين أخوه » لأن الرفق يقبل إليه بالقلوب ،

---

(١) المجازات النبوية ٢٤٢

فيصير كل واحد فى الحنو عليه ، والميل إليه كالوالد الرؤوف ، والجد العطوف ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام « والصبر أمير جنوده » أن الصبر ملاك أمره وشداد أزره، وبه تبلغ الآراب وتدرك المحاب، فهو كأمير جنده الذى يقوى به على أعدائه ويصل به إلى أغراضه ، وقد يجوز أن يكون المراد الصبر رأس خلاله، ورئيس خصاً له، فهو متقدم عليها، وكالأمير لسائرها كما أن الأمير متقدم على رعيته ، وله شأن على من فى طبقته »(١) .

٤ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ : إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه — وفى رواية : المؤمن مرآة أخيه المؤمن يرى فيه حسنه وقبحه » .

كلما سمت نفس الإنسان ، وأشرقت بنور ربها ، واستيقنت أنها مع غيرها من النفوس الزاكية بالإيمان تمثل طاقة واحدة ، تنبع من مصدر واحد ، وتملأ صعيداً واحداً ، أحست أن عيباً صغيراً فى جانب يتصل بها هو عيب فيها ، فاتجهت إلى إصلاحه ، حرصاً على كمالها الذى لا يتحقق مع هذا العيب ، فبذلت النصح أمينة ، وساعدت فى الخلاص جاهدة ، وقابلت النفس المنصوحة هديها شاكرة ، ونصحها عاملة مادامت تشعر بالتضامن فى الهدف ، والتكامل فى البناء .

والحديث الشريف بأوجز لفظ وأبين عبارة يحدثنا عن هـذا المعنى ويؤكده ويقرره بما نرى أول الكلام من حرف التوكيد « إن » وما جعله مسنداً إليه فى الجملة ، وهو الأحد الدائر الذى يشمل الجميع لأنه مضاف إلى ضمير الجميع من المخاطبين ، ثم يجعل المسند المشبه به متصلا بالمسند إليه على التأكيد بسقوط أداة التشبيه ، حتى كأنهما واحد فى خيال السامع ، ثم يجعل هذا المشبه « المرآة » مضافاً إلى الأخ ليظهر

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٤٧ والمجازات النبوية ١٩٥

اختصاصه به ، وتأكد ولائه له ، وأنه يجب عليه أن يضع نفسه فى نصحه موضع الشىء الذى يملكه ويختص به ، فإذا لوحظ مع ذلك أن المرآة لا تكذب الرائى، لزم هذا المعنى وجوب الصدق فى الناصح المشبه بالمرآة ، ووجوب التصديق فى المنصوح الذى لا يتهم مرآته .

وقد أمر المؤمن الناصح فى الحديث والمشبه بالمرآة، أن يميط الأذى عن أخيه المنصوح زيادة فى تقرير واجبه المفهوم من عبارة التشبيه، وتوسيعا فى جوانب ذلك الواجب ليشمل ما يستطيع أن يسديه من عمل ، مع ما يستطيع أن يقدمه من قول ليسلم عرض أخيه ويصح ، فيسلم عرضه هو الآخر ويصح ، لأن جمال المرآة وكمالها جمال ما ينعكس عليها من الصور وكماله وما دام المؤمن الزكى مرآة حية ، تملك تجميل ما ينطبع على وجهها ، فهو لا يرضى النقص والتشويه، دون أن يجهد ويخلص ما وسعه الجهد وأمكنه الإخلاص .

يقول الشريف الرضى : المراد أن المؤمن الناصح لأخيه المؤمن يبصره مواقع رشده، ويطلعه على خفايا عيبه، فيكون كالمرآة له ينظر فيها محاسنه فيستحسنها ، ويزداد منها ، ويرى مساويه فيستقبحها وينصرف عنها(١) .

٥ — قال ﷺ لحادى مطية «يا أنجشه وفقا بالقوارير» أنجشه : مولى النبى ﷺ، وحادى مطيه : أى الذى يغنى للإبل أثناء سيرها حتى يسهل عليها السير ويخف ، عنها التعب، والقوارير جمع قارورة ، وهى ماقر فيه الشراب ونحوه، سواء كان من الزجاج أو من غيره، وقيل مخصوص بالزجاج ، ويجب حمله هنا على ما كان من الزجاج لأنه الذى يشينه أدنى خدش .

يقول الشريف الرضى : شبه النساء فى ضعف النحائز(٢) ووهن

---

(١) الحديث النبوى ١٤٣ والمجازات النبوته ٧٩
(٢) النحائز : جمع نحيزه وهى الطبيعة

الغرائز(١) بالقوارير الرقيقة التى يوهنها الخفيف، ويصدعها اللطيف فنهى عن أن يسمعهن ذلك الحادى ما يحرك مواضع الصبوة، وينقض معاقد العفة .

٦ — عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء ، كحامل المسك ، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة .

مثل الجليس : يقصد بالجليس الصالح هنا : الصديق الفاضل المتحلى بالأخلاق الكريمة، وفى الحديث الشريف «لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقى» .

جليس السوء : يقصد به : الصاحب السيء الذى فسدت طباعه ، وساءت أخلاقه .

كحامل المسك : المراد به : بائع المسك ، وهو الطيب الذى يتطيب به الناس .

ونافخ الكير : المراد به : الحداد الذى ينفخ النار على الحديد حتى يحمر فيستعمله .

تبتاع منه : أى تشترى منه .

ريحا خبيثة أى رائحة كريهة تنفر منها النفس .

ما أروعه من معنى ، وما أجمله من تصوير، تتجلى فيه البلاغة النبويه، وروعة البيان ، وإن من البيان لسحرا .

صورة حية صادقه للجليس ، فالجليس الصالح هو الذى ترتاح إليه

---

(١) الغريزه : الطبيعة

نفسك ويطمئن به فؤادك ، وتنتعش روحك . . تطرب لحديثه ، وتنعم بمجالسته وتسعد بصحبته ، إنه عدة فى الرخاء ، وزينة فى الشدة ، وبلسم الفؤاد وراحة النفس .

وقد شبهه المصطفى عليه الصلاة والسلام ببائع الطيب الذى ينفحك بعطره ، ويغمرك بنشره ، فإما أن يهديك ، وإما أن تجد عنده ريحاً طيبة فأنت معه فى ربح دائم ونشوة غامرة .

أما جليس السوء فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحداد الذى ينفخ بكيره ، فأنت معه فى خسارة دائمة ، فإن لم يحرقك بناره أحرقك بشراره فصحبته هم دائم وحزن لازم .

ومن ثم فقد قيل : من جالس جانس، لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء ، ولهذا أمر البارى تبارك وتعالى بصحبة الصالحين . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين »(١) .

إن الحديث الشريف يحذر من خلال الصورة المنفرة التى رسمها من مرافقة الأشرار ، ومن هجو الأخيار ، مهما زين لهم ومهما موهت الحقائق فى وجوههم .

إن الجليس الصالح للطالب يعينه على دراسته ونجاحه وتفوقه ويمنعه من المجون والفجور ، والجليس الصالح للموظف يمنعه من الرشوة ومن التفريق فى المعاملة بين عباد الله ، فيكون أبا للصغير ، وأخا لأترابه وولداً باراً للشيوخ ، والجليس الصالح للتاجر ، يمنعه من الغش وحلف الأيمان الكاذبة ، ويحمله على الأمانة فى عرض بضائعه وتصريفها ويحذره من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

---

(١) التوبة ١١٩

والجليس الصالح لرئيس الدولة يضرب له العظات من حوادث التاريخ ما يفتح قلبه لما يدعوه إليه ، ومن ذلك ما أثر عن الصديق بعد خلافته إذ قال : وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى آخذله حقه(١) .

هذا . وفى قوله ﷺ : مثل الجليس الصالح ، وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير تشبيه تمثيلي .

وفى قوله عليه الصلاة والسلام « كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك . . » الحديث — لف ونشر مرتب وهو من المحسنات البديعية التى تكسب المعنى حسنا وبهاء ، وسمى لفا ونشراً مرتباً لأنه قد عاد عليهما بالترتيب .

٧ — عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور .

بمنكبى : تثنية منكب ، وهو مجمع رأس العضد والكتف ، لأنه يعتمد عليه .

وروى « بمنكبى » بالإفراد ، وإنما فعل ذلك ﷺ معه ليستيقظ ويقبل بقلبه ، على ما يلقيه النبى الكريم ، وهكذا عادته صلوات الله عليه فى مؤانسة جلسائه .

الغريب مأخوذ من « الغربة » وهى البعد عن الأهل والأوطان .

---

(١) أدب الحديث النبوى ١٩٠

عابر سبيل : الطريق ، والمراد بعابر السبيل المسافر الذى يمر بطريقه على بعض البلدان والأماكن .

من أهل القبور : أى عد نفسك من الموتى ، لأن أهل القبور كناية عن سكانها وهم الموتى .

مع هذا التوجيه النبوى الكريم ، والإرشاد الصادق الحكيم تتربى فى نفس المؤمن روح الجهاد والكفاح، والزهد فى هذه الحياة الزائلة الفانية، فليس المؤمن كغيره من أفراد النـــاس ، يكد ويكدح ويشقى وينصب فى سبيل حطام الدنيا ، وجمع مافيها من ثروة ومال ، بل إن له نفسا تواقة إلى المعالى ، تترفع به عن سفاسف الأمور ، وتعلو به إلى مدارج الرقى والكمال، إلى أجواء قدسية من حب الخير والفضيلة والبحث عما تتوق إليه النفس الكريمة من صالح الأعمال .

على هذه التربية الكريمة نشأ أصحاب رسول الله ﷺ، وعليها درجوا، فكانوا مصابيح تضيء للناس فى ظلمات هذه الحيـــاة ، ولا عجب ، فلقد أقتبسوا ذلك من معين النبوة ، ومنبع الفضل والكمال ، فهذا هو رسول الله ﷺ يربى أصحابه تربية إنسانية كاملة.. يعلمهم كيف يكونون جنوداً للحق وأنصاراً للدعوة ، يزهدون فى هـــذه الحياة الدنيا ، فيضحون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ويتسابقون للآخرة ، ليكونوا حملة رسالة، وقادة أمة ، ودعاة خير وإصلاح .

لقد كانت تربية النبى ﷺ لأصحابه تربية مثالية كريمة تربية فيها الشجاعة والبسالة ، وفيهـا العزم والحزم ، وفيها الزهد والعفاف لذلك فقد كانوا رجالا وأبطالا فتحوا الدنيا ، وسادوا العالم بتلك المعانى النبيلة .

هذا هو رسول الله ﷺ يوجه ذلك الشاب المؤمن « عبد الله بن عمر »

الوجهة الفاضلة الرشيدة ، فيمسك بمنكبه مؤانسا ومسليا — ثم يقول له تلك القوله الكريمة الهادفة .

ما أجملها من نصيحة ، وما أكرمها من قولة ، وحقا إنها للفتة سامية هادفة ، ونصيحة ثمينة غالية ، يقدمها الرسول الكريم لهذا الشاب المؤمن الذى ملأ الإيمان قلبـــه ، وغمر اليقين نفسه ، فيحرك فيه بواعث الخير، ويفجر فيه ينابيع الإيمان والفضيلة .

ولقد كان لهذه التربية ولهذا التوجيه أثر فى نفس هذا الشاب المؤمن ، فإن هذه الباقة الجميلة التى قدمها له مربى الإنسانية ، ومهذب البشريه محمد بن عبد الله ﷺ ، قد أعطت ثمراتها اليانعة ، فوقعت فى نفسه موقعا عظيما ، وتقبلها تقبلا حسنا .

لقد جمعت هذه الكلمات القلائل أنواع النصائح، فالغريب الذى قدم بلدآ غير بلده ، لامسكن له فيه يؤمه ، ولا صديق يواسيه ، ولا أحد من الأهل والأولاد يؤانسه، كيف يكون حاله، ألا يشعر بالوحشة والغربة ، ويتمنى العودة إلى الأهل والأوطان ؟ وهل يكون له رغبة فى البقاء بأرض الغربة والإقامة فيها .

والإنسان الذى أنتقل من هـــذه الدار — دار الفناء — وأصبح فى دار البقاء هل يبقى له طمع فى جمع الأموال ، وتكديس الثروات ، أم يصبح همه فى نيل رحمته ورضوانه ، ويتمنى العودة إلى الدنيا ليكثر فيها من صالح الأعمال .

فلله ما أعجب هذه الحياة الدنيا ، وما أتفهها وأحقرها إن لم يغتنم منها الإنسان ويتزود بصالح الأعمال ، وهل هذه الدنيا إلا دار الغرور ، يركن إليها الغافل ويغتر فيها الجهول ، ولله در أبى العلاء حيث يقول :

تعب كلها الحياة فما أعجب
إلا من راغب فى ازدياد(١)

هذا وفى قوله : « أخذ بمنكبى » جملة خبريه الغرض منها إفادة الحكم الذى تضمنته الجملة ويسمى « فائدة الخبر » .

وفى قوله « كن فى الدنيا » كن فى الدنيا » جملة إنشائيه طلبية ، وقد خرج الأمر فيها من الوجوب والإلزام إلى النصح والإرشاد.

وفى قوله « كأنك غريب » تشبيه يسمى «مرسلا مجملا » أما أنه مرسل فلأن أداة التشبيه وهى « كأن » مذكوره ، وأما أنه « مجمل » فلأن وجه الشبه غير مذكور ، والتقدير كن كالغريب فى عدم الإستقرار والتفكير فى المكث وطول الإقامة .

وفى قوله : « من أهل القبور » كناية عن الموتى بأهل القبور .

٨ — عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:إن من أحبكم إلى ، وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يارسول الله ، فما المتفيهقون ؟ قال المتكبرون.

الثرثارون : جمع ثرثار : وهو الشخص الذى يكثر الكلام،وقد يصل به الحال إلى درجة الهذيان ، قال الشاعر .

وزن الكلام إذا نطقت فإنما
يبدى عيوب ذوى العيوب المنطق

---

(١) من كنوز السنة ٦٠.

المتشدقون: جمع متشدق، وهو الذى يتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فمه، وأصل التشدق، مأخوذ من ملء الشدق، فالذى يتكلم بملء فمه يقال عنه متشدق، وقد جاء فى اللسان: الشدق جانب الفم، والمتشدق الذى يلوى شدقه للتفصح.

المتفيهقون: مأخوذ من الفهق وهو الإمتلاء.

قال الأصمعى: المتفيهق الذى يتوسع فى كلامه ويفهق «أى يملأ» به فمه، وقد فسره عليه الصلاة والسلام بأنه المتكبر يتبجح بكلامه، ويشمخ بأنفه استعلاء على الناس وتكبرا فناسبه الوصف.

بهذه الصورة الجميلة الرائعة، يضع الرسول الكريم، صلوات الله عليه حجر الزاوية فى بناء الشخصية الإسلامية المثالية، وبناء المجتمع المسلم القائم على الفضيلة، المشيد بدعائم التقى والصلاح، فى هذا الهدى النبوى الشريف يبين الرسول عليه الصلاة والسلام، منزلة الأخلاق والتربية فى الإسلام ومكانة المؤمن المتخلق بهذه الأخلاق الكريمة التى هى من أهم مقاصد الإسلام فالأخلاق سياج الأمم، وميزان تقدمها ورقيها، وعنوان عظمتها وخلودها ولله در أمير الشعراء حيث يقول:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقوله أيضاً:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد ضرب الرسول الكريم أروع الأمثلة فى الخلق الرفيع ، والإستقامة على أمر الله عز وجل ، والتحلى بالأخلاق الكريمة الفاضلة ، حتى أثنى عليه المولى تبارك وتعالى بقوله : « وإنك لعلى إخلق عظيم »(١) .

وكفى بهذا الثناء رفعة وعزة ، وسموا وجلالا لنبى الهدى ورسول الأخلاق .

ولقد وضح عليه الصلاة والسلام بهذه الكلمات الروائع قيمة الأخلاق ، ورفع مكانة أهلها ، المتخلقين بحميد الخصال ، الذين ترسخت فيهم معانى الفضل والنبل ، والأدب الرفيع ، حتى أصبحت سجية من سجاياهم وأشاد بفضلهم ، صلوات الله عليه ، حين جعلهم أحب الناس عنده ، وأقربهم مكانة لديه.

فليست الأخلاق سبب السعادة فى الدنيا فحسب ، بل هى أساس السعادة وأصل العزة فى الدنيا والآخرة ، وكفى بجوار الرسول الكريم فى دار الخلد والنعيم شرفا وعلوا ، وحيث ينال صاحب الخلق الرفيع درجة عاليه يغبطه عليها كثير من الناس ، يوم يكون مجلسه إلى جانب مجلس الرسل الكرام ، والصديقين والشهداء ، فهل بعد هذا عز وشرف يدانيه أو يضاهيه .

ثم ينتقل الرسول الكريم فيبين فى هديه الشريف ، منزلة الفريق الثانى، أولئك الذين تجردوا من الفضيلة ، وتعروا عن حميد الأخلاق وحسبهم خسارة أن يكونوا بغيضين إلى رسول الله بعيدين عن مجلسه

---

(١) سورة القلم آية (٤) .

والسعادة بجواره الشريف ، وجوار أولياء الله من النبيين والشهداء والصالحين(١) .

هذا . وفى قوله عليه الصلاة والصلام « إن من أحبكم » جملة خبرية من النوع الطلبي لأنها مؤكدة بإن ، والغرض منها إفادة المخاطب الحكم .

وبين جملة « أحبكم إلى وأقربكم منى » وجملة « أبغضكم إلى وأبعدكم فنى » مقابلة ، فقد جاء بلفظ « أحبكم ويقابلها فى الجملة الثانية « أبغضكم » وبين لفظ « أقربكم » ويقابلها « أبعدكم » .

٩ — قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل « وأمت أمر الجاهلية إلا ما حسن » .

قبل طلوع فجر الإسلام كانت فى الجاهلية عادات بذيئة كوأد البنات وشرب الخمر إلى غير ذلك من العادات السيئة ، كما كانت هناك أشياء حسنة كالشجاعة والكرم ، وقد بعث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ليتم مكارم الأخلاق ، ومن ثم كانت وصيته لمعاذ بن جبل رضى الله عنه بترك السيء من العادات والإبقاء على الصالح منها .

يقول الشريف الرضى : وهذه استعارة والمراد توصيته بأن يحيل أمر الجاهلية بنقض أحكامها وخفض أعلامها ، حتى ينسى ذكرها ، ويعفو أثرها ، فتكون كالميت الذى نسى ذكره ، وانقطع خبره(٢) .

١٠ — عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ أنه قال: مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ،

---

(١) من كنوز السنة ١٢١

(٢) المجازات النبوية ١٨٨

فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فآذوهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا . ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا .

القائم على حدود الله : المراد به المستمسك بالدين .

الواقع فيها : المراد به المستهتر بأمور الدين ، المرتكب للمنكرات والمعاصى الذى لا يبالى بما فعل من فحش أوقول .

استهموا : أى اقترعوا فيما بينهم ، والقرعة إنما تكون لقطع النزاع ورفع الخلاف .

خرقنا فى نصيبنا : أى ثقبنا المكان الذى نحن فيه لنستخرج منه الماء ، والمراد خرق السفينة .

أخذوا على أيديهم : أى منعوهم مما أرادوه من خرق السفينة ، والتعبير بلفظ « أخذوا على أيديهم » يفيد المنع بالقوة ، كمن شددنا يديه بالوثاق لمنعه من الحركة والعمل .

إنه مثل فى منتهى الجمال والروعة يضر به الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه لأولئك الذين أخطأوا الطريق ، وضلوا الجادة ، وتنكبوا عن سبيل الهدى ، ففهموا « الحرية » فهما خاطئا ، وساروا فى هذه الحياة حسب أهوائهم وشهواتهم ومثل آخر لأولئك الذين رأوا المنكر فسكتوا عنه ، وأغمضوا أعينهم عما يدور حولهم من آثام وموبقات ، كأن الأمر لا يعنيهم وظنوا فى أنفسهم الصلاح والفلاح .

إنه مثل رائع من روائع الحكم النبوية ، التى ضربها الرسول الكريم

معلم الإنسانية ومهذب البشرية ، الذى دانت له الفصاحة والبلاغة ، وأعطى جوامع الـــكلم ، فـكان له منها النصيب الأوفر ، فصلوات ربى وسلامه عليه .

مثل فى غاية الروعة يصور فيه الرسول الكريم «المجتمع البشرى» بما فيه من أخيار وأشرار ، ومتقين وفجار ، بركاب سفينة فى بحر خضم متلاطم الأمواج هذه السفينة ، تسير فى وسط البحر تشق طريقها بين الأمواج والأعاصير ، وقد انقسم الركاب فيها إلى قسمين ، قسم فى أعلى السفينة ، يتمتعون بجمال اللون وروعة الطبيعة ، ونضارة الحياة ، وقد تأمنت لهم كل أسباب الرفاهية والراحة .

وقسم فى أسفلها لا يرون مناظر الطبيعة ،ولا يتمتعون بجمالها الخلاب، ولا ينعمون بما ينعم به إخوانهم فى الطبقة العليا ، حتى الماء فقد كانوا يجلبونه من الأعلى وهنا خطرت لهم خاطره ،وهى أن يثقبوا أسفل السفينة ويستخرجوا من البحر الماء حتى لا يحملوا أنفسهم مشقة حمل الماء ، ولا يزعجوا جيرانهم ، وهنا بدأوا بما عزموا عليه ، وقرروا ثقب السفينه ، فأحضروا المعاول والفؤوس ، وأخذوا يضربون بها السفينة لاستخراج الماء ، وسمع الذين هم فى الطبقة العليا أصوات السفينة وهى تخرق ، فهرعوا نحوهم ، ووقفوا فى وجوههم يريدون منعهم ، ولـكن أولئك استاءوا من تدخل إخوانهم ، وقالوا لهم : هذا مكاننا نصنع فيه ما نشاء لأننا « أحرار » وهل تمنعون الناس من استعمال حرياتهم ؟ فإن تركوهم على إرادتهم وصنيعهم هلك ركاب السفينة جميعا وإن منعوهم وأخذوا على أيديهم نجوا جميعا .

وهـكذا نحن فى هـذه الحياة ، نعيش فوق سطح هـذا الـكوكب

الأرض « كركاب السفينة » فينا البر والفاجر ، وفينا الصالح والطالح ، فإن تركنا أهل الشر والفساد يسرحون ويمرحون ، ويفعلون مايحلولهم ، وما يشاءون دون أن نوجه لهم النصح ، أو نمنعهم عن اقتراف الموبقات والآثام هلكنا جميعا وإن منعناهم منها نجونا جميعا ، فكان فى ذلك نجاتنا ونجاتهم ، وحياتنا وحياتهم ، فما أحسنه من مثل رائع ، وتوجيه حكيم . نبهنا إليه رسول الهدى والرحمة(١) .

إن المرء عندما يقرأ هذا الحديث أو يسمعه يتمثل أمامه طائفة من الناس وقد ظهرت عليهم علامات الطاعة ، وطائفة أخرى تخوض فى المعاصى ، ويتصور نفسه على شاطىء بحر ، تجرى فيه سفينة ضخمة ، وعليها ركابها ، وقد اختلفوا فيما بينهم حتى تكاد تغرق بهم .

إنه تصوير بديع بالحركة والصوت ، والتمثيل بالصور المادية المتحركة أوقع فى النفس ، وأدعى لرسوخ المشهد ، وسرعة تصوره ، وامتداد أثره والاهتمام به .

هذا . وفى قوله عليه الصلاة والسلام « مثل القائم . كمثل قوم استهموا ، تشبيه تمثيلى ، لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد ، وهذا النوع من التشبيه له تأثير عظيم على النفس .

كما يوجد طباق بين لفظ « أعلاها » ولفظ « أسفلها » والطباق يؤكد المعنى فى النفس ، لأن الضد أقرب خطورا بالبال إذا ذكر ضده .

كذلك توجد كناية عن صفة فى قوله « وإن أخذوا على أيديهم » فقد كنى عن المنع بالأخذ على الأيدى .

---

(١) من كنوز السنة ٢٧

١١ — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب .

ليس أفسد طبعا ، ولا أدنى نفسا ، ولا أشقى حظا ، ممن تؤلمه النعمة ، يمنحها الله من يشاء لحكمته ، فيعترض على الله وينتقص حكمته بالنظر الحاقد على هذه النعمة وتمنى زوالها .

الخلق السيء الذى يحمل على هذا هو الحسد ، يحذرنا منه الرسول الكريم عليه السلام تحذيرا شديدا ، معللا بسببه ، هو عدم الانتفاع لصالح العمل ، لأن الله لا يقبل إلا الطيب الخالص ، ولا طيب ولا خالص ممن أسخط الله بالشك فى حكمته ، والاعتراض على قسمة الرزق فى خلقه .

أراد الرسول عليه السلام أن يقرر هذا المعنى فى نفوس المؤمنين فأتى فى تخييل حسن حكيم : شبه الهيئة الحاصلة بين الحسد والحسنات وحبوط الحسنات الصالحه الجميله فى قبحه ودمامته وحدة شره بالهيئة الحاصلة بين النار والحطب يلقى إليها فتحيله رمادا .

الصورة الواقعة المحسة التى نراها كل حين ، أحمال الحطب تغشيها رأس عود من الثقاب ، تنقل إلى أجزائها العدوى فى ثانية أو ثوان فإذا هى مثلها ينتقل منها اللهب إلى ما وراءها .

هذا الخطر الداهم المخيف نتوقاه كل التوقى بحفظ مواد الاشتعال كل الحفظ خوف الكارثة ، إنه صورة مطابقة للحسد ، هذا الخطر النفسى الذى يفنى الكثير من الحسنات .

تلك المعانى قد تجسمت بالتشبية فى هذه الصورة ، فتقررت وتأكد مدلولها .

إن تصدير الكلام بصيغة التحذير تعجيل بالإنذار وإعلان الخطوره ليلتفت السامع بكل ما يملك إلى المحذر منه .

ثم ربط التحذير بما بعده بفاء السببيه أو التعليل للإقناع ببيان علته .

هل يدرك الحاسد أن نارا فى قلبه ، هل يعلم أنها تأكل حسناته مهما كثرت هل يراها نارا حيه تترقب الجديد وتطلب المزيد .. اللهم فقهنا بفقه رسولك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام(١) .

وصلى الله على سيدنا محمد الذى أوتى جوامع الكلم وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) انظر الحديث النبوى من الوجهه البلاغية ١٦٥

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٤١٠ / ١٩٨٦ م